العرب
الجمعة 2021/07/30
السنة 44 العدد 12133

حياة المهمشين.. أرض خصبة لنجاح الأفلام المصرية عالميا

حصد الوجوه المغمورة للجوائز يُثبت أن الفن رسالة وليس أموالا ونجوما

زهد الإنتاج لا يتعارض مع الأفكار العميقة

القاهرة – تُثبت الأعمال السينمائية المصرية الفائزة مؤخرا بجوائز عالمية أن التمثيل يحتاج إلى إيمان عميق بالفكرة والتعبير الصادق عنها، ولم يكن يوما حكرا على الأسماء الكبيرة أو قسرا على ورش التمثيل.

وتُعيد الأعمال المتوّجة إلى الأذهان زخم جيل الرواد الذي غاب في خضم سيطرة الإنتاج الترفيهي وفرض أسماء بعينها ليعود قطاع من المخرجين للبحث عن الوجوه في الشوارع والنوادي والقرى والنجوع، وينقبون عن ملامح تناسب الشخصيات المرسومة في السيناريو، وهم على يقين بأن التمثيل يعتمد على الأداء التلقائي السلس في المقام الأول.

نقد ساخر

شهدت الدورة الرابعة والسبعون لمهرجان كان السينمائي الدولي فوز فيلم "ريش" للمخرج المصري عمر الزهيري بالجائزة الكبرى في مسابقة أسبوع النقاد الدولي، رغم اعتماده على أشخاص عاديين من أبناء إحدى قرى مركز ملوي بالمنيا في جنوب مصر في التمثيل دون أي وجود لفنانين محترفين ولو كضيوف الشرف.

ويتناول الفيلم الروائي الطويل الأول للزهيري قضية المرأة المعيلة بشكل يمزج الواقع بالخيال عبر قصة "أب" زهيد الحال يستعين بساحر في احتفال بعيد ميلاد ابنه الأكبر، وفي إحدى الفقرات يدخل صندوقا خشبيا فيحوّله الساحر إلى دجاجة ويفشل في إعادته إلى حالته الطبيعية بعد عدة محاولات.

وينتهج العمل النقد الساخر للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية وأوضاع المرأة الحاملة التي تضطرها الظروف إلى إعالة أسرتها، واختار الدجاجة بالذات كطائر ضعيف يحتاج لمن يطعمه ويحميه في إسقاط على اتكالية قطاع من الرجال على زوجاتهم في الإنفاق على متطلبات الأسرة.

بين «ريش» و«ما لا نعرفه عن مريم» ارتباط وثيق في الاعتماد على وجوه تخوض تجاربها الأولى في التمثيل

واختار المخرج أبطاله في أثناء حضوره بانوراما قرية البرشا بمركز ملوي ضمن مبادرة حكومية لنشر مسرح الشارع وقضايا المرأة والطفل، لتقع أنظاره على دميانة حنا (39 عاما)، وهي ربة منزل، وفادي فوزي (8 سنوات)، وأبوسيفين ويصا (5 سنوات)، للمشاركة في الفيلم الذي استمر تصويره في حي حلوان بجنوب القاهرة ثلاثة أشهر.

ونجح فريق التمثيل المبتدئ في خطف الأنظار بإيمانهم العميق بالفكرة فكانت وجوههم معبرة عن المشاعر المتضاربة بين الأمان والخوف والسعادة والحزن والقلق من المستقبل، وتماشت تماما مع فقدان أسرة متوسطة العدد لمصدر دخلها الوحيد.

وينطبق الأمر ذاته على فيلم "ما لا نعرفه عن مريم" للمخرج مراد مصطفى، الذي حقّق صدى كبيرا بين الجمهور والنقاد بعدما شارك في أكثر من عشرة مهرجانات سينمائية تكلّلت بالعديد من الجوائز بينها البرونزية لأفضل فيلم قصير من مهرجان برشلونة السينمائي الدولي، وجائزة النقاد من مهرجان ليالي البحر المتوسط السينمائي الدولي بفرنسا.

وتدور أحداث الفيلم داخل أحد المستشفيات الحكومية عن تعرّض بطلته "مريم" لآلام في الجهاز الهضمي لتكتشف من خلال رحلة علاجها أسرارا خفية في حياة الأسرة، وتتّضح معالم هشاشة العلاقات بين الزوجين، مع واقع يومي يمكن تعميمه على الأسباب النفسية لتنامي الطلاق في مصر.

واستوحى المخرج مراد مصطفى فكرة الفيلم من خلاف حقيقي بين زوجين رصده بعينيه في أثناء تواجده صدفة بأحد المستشفيات الحكومية، والتي قام فيها بالتصوير الواقعي داخلها على مدار يومين، لتصبح الحركة التي لا تهدأ داخلها من تنقلات المرضى وضجيج آلامهم وزحامهم هي الخلفية المُصوّرة والصوتية لغالبية الأحداث.

وما يميّز الأفلام منخفضة التكاليف هو الإيمان العميق بالفكرة والزهد المالي للمشاركين الذين يتعاملون مع العمل كمشروع يحتاج إلى بذل مجهود مضاعف قبل البحث عن العائد، فنحو تسعين في المئة من فريق "ما لا نعرفه عن مريم" لم يتلقوا أجرا.

ويقول المخرج إن مساهمتهم جاءت كمساعدة منهم في توفير المعدات المستخدمة في التصوير وسعيا وراء تحقيق هدف أسمى بالوصول إلى منصات التكريم والشهرة.

ويوجد ارتباط وثيق بين "ريش" و"ما لا نعرفه عن مريم" في الاعتماد على ممثلين يخوضون تجاربهم الأولى، فالاختيار فيهما نبع من مدى اتساق الدور مع ملامح الممثل في مغامرة تعتمد كثيرا على صبر مخرج العمل وتجارب التصوير أو "البروفات" التي يحاول فيها تطوير طريقة الأداء.

ونقل المخرج أبوبكر شوقي التمثيل في فيلم "يوم الدين" الذي فاز من قبل بجائزة في مهرجان كان أيضا إلى مستوى غير مسبوق بالاعتماد في بطولته على مريض متعافي من الجزام، وطفل من أصول نوبية، وممثل دون ساقين، وجميعهم من المبتدئين لرصد الواقع الاجتماعي للمهمشين فكانت ملامحهم وحدها كفيلة بتوصيل الرسالة التي يحملها الفيلم.

وتمتاز أفلام المهرجانات بمعايير مختلفة في الديكور والتصوير، ولا تبحث عن الجمال بمفهومه الدارج، مثل الأعمال التقليدية عبر ممثلات حسناوات وشواطئ فاقعة الزرقة والصفاء وتجمعات سكنية مُظللة بالخضرة.

مراد مصطفى

تسعون في المئة من فريق «ما لا نعرفه عن مريم» لم يتلقوا أجرا

وتعدّ الصورة الطبيعية في هذه النوعية من الأفلام هي الأساس وأحد الأبطال المجهولين حتى لو اتصفت بالقبح والدمامة أحيانا، فلا خجل من تصوير الحوائط المتهالكة والشوارع المشبعة بمياه الصرف الصحي والعشش المتراصة فوق أسطح العقارات القديمة.

وفي فيلم "ستاشر" للمخرج المصري سامح علاء الحائز على السعفة الذهبية في مهرجان كان العام الماضي، تتجسّد التراجيديا الإنسانية بقصة استطاع أبطالها من المغمورين توصيلها عن فتاة تحبسها أسرتها لمدة شهرين في منزلها، ورحلة حبيبها مرتديا النقاب في شوارع القاهرة متخليا عن اعتداد الرجال بذكورتهم لإطفاء مشاعر الاشتياق، وينتهي بفاجعة انتحار البطلة.

فرصة للموهوبين

أكّد الناقد السينمائي طارق الشناوي أن أفلام المهرجانات تمنح الفرصة دائما للممثلين الصغار سنا وشهرة ليصبحوا معروفين بعدها، مثل الفنانة دينا ماهر التي بدأت تجاربها في فيلم "الخروج للنهار" الذي حصد أكثر من جائزة في المهرجانات التي عرض فيها لتنجح بعدها في الدراما خاصة مسلسل "100 وش" وتصبح من الوجوه التي يطلبها المخرجون كثيرا.

وأضاف الشناوي لـ"العرب" أن نجاح الأفلام غير التجارية ربما يكون وازعا نحو ضخ دماء جديدة في السينما والدراما، ومنح الموهوبين فرصة للظهور ورفع المستوى التمثيلي بشكل عام عبر المنافسة بين الأجيال الجديدة والقديمة بما ينعكس إيجابيا على القطاع الفني.

وتتّسم الأعمال غير التجارية بالرؤية الإبداعية المغايرة وسيطرة فكرة التعاطف مع الفقراء وما يكابدونه من عناء يومي في الحياة، وهي سمة محببة للجمهور الغربي الذي يرى في السينما مرآة معبّرة عن عوالم الطبقات المنكشفة اجتماعيا بمنظور مغاير، أو بمعنى آخر صورة حقيقية لواقع غير موجود في مجتمعاتهم.

فيلم «ما لا نعرفه عن مريم» يسرد هشاشة العلاقات الأسرية في مجتمع ذكوري

«كوستا برافا» يُعيد نادين لبكي إلى التمثيل من بوابة مهرجان فينيسيا

بيروت – كشف مهرجان فينيسيا السينمائي في دورته الثامنة والسبعين المزمع انطلاقها في الفترة الممتدة بين الأول من سبتمبر المقبل والتاسع منه عن مشاركة فيلم المخرجة اللبنانية مونيا عقل "كوستا برافا" ضمن فئة "آفاق إكسترا"، وهي المسابقة المستحدثة في المهرجان والتي تشمل مجموعة مختارة من الأعمال التجريبية التي ستحل محل قسم "سكونفيني".

والقسم الجديد سيكون مكملا لاختيار مسابقة "آفاق" في فينيسيا، ولكنه سيركّز على "الاتجاهات الجديدة في السينما العالمية"، وبالتالي سيكون موجّها نحو المخرجين الجدد والصاعدين.

وقال المهرجان إن أفلام القسم الجديد "آفاق إكسترا" يجب أن تكون مدتها ستين دقيقة على الأقل، ولا توجد قيود أخرى من حيث الطول أو الأسلوب أو النوع، على أن تتولى لجنة التحكيم الاختيار ومنح جائزة أفضل فيلم.

ووجد الفيلم اللبناني "كوستا برافا" طريقه إلى العرض في المهرجان الإيطالي العريق، بعدما فاز بجائزة التطوير في مسابقة ملتقى مهرجان الجونة السينمائي. وهو من بطولة الفلسطيني صالح بكري واللبنانيتين ناديا شربل ونادين لبكي.

ويدور موضوع الفيلم الروائي الأول لعقل حول عائلة "بدري" ذات الروح الحرّة، حيث تلعب نادين لبكي وصالح بكري دور زوجين يقرّران ترك التلوث السام الذي عم مدينتهما بيروت، على أمل بناء حياة مثالية لأسرتهما في منزل جبلي بالريف، إلاّ أن أحلامهما ستتحطّم عندما يتم بناء مكب نفايات بجوارهما، ممّا أدّى إلى جلب القمامة والفساد الذي كانا يأملان في تركه وراءهما. ومع ازدياد كمية القمامة تزداد التوترات والتردد بين المغادرة أو المقاومة، ممّا يهدّد البيت الشاعري ووحدة الأسرة.

ويُعيد "كوستا برافا" المخرجة اللبنانية نادين لبكي إلى التمثيل دون أن تكون وراء الكاميرا، حيث اتجهت في المدة الأخيرة إلى الإخراج السينمائي محقّقة نجاحا كبيرا عبر فيلمها الأول "سكر بنات" الذي شاركت فيه بالتمثيل عبر شخصية "ليال"، وفيه تناولت مدينة بيروت التي لا يعرفها معظم الناس؛ فبدلا من أن تستعرض القضايا السياسية التي أزعجت لبنان وملّ منها اللبنانيون قدّمت كوميديا سينمائية من خلال خمس سيدات لبنانيات يعشن في بيروت وتجمّعن في مركز تجميل، وناقشن القضايا المتعلقة بالحب والجنس والتقاليد والإحباط والتغيرات اليومية.

وتم عرض الفيلم للمرة الأولى خلال "أسبوعي المخرجين" بمهرجان كان السينمائي في 2007، ولاقى نجاحا تجاريا كبيرا في صيف العام نفسه، فقد تمّ بيعه في جميع أنحاء العالم وحصد جوائز هامة في عدة مهرجانات، وجعل لبكي تلقى الكثير من الإشادة كممثلة ومخرجة على حد السواء، ووضعها في قائمة أفضل عشرة مخرجين في مهرجان صندانس السينمائي.

وفي عام 2011 قدّمت لبكي "هلأ لوين؟" الذي شاركت فيه مع نفس مؤلفي فيلم "سكر بنات" وأخرجته أيضا، وجسّدت من خلاله شخصية "أمال". ودارت أحداث الفيلم حول مجموعة من النساء اللاتي يعشن في قرية واحدة، وبالرغم من اختلاف ديانتهنّ إلاّ أن هناك شيئا واحدا يجمعهنّ، هو الحزن نتيجة سقوط أبنائهنّ وأقاربهنّ قتلى بسبب الحرب، ويحاولن بكل الوسائل منع تجدّد الحرب الدينية في قريتهنّ.

كما شاركت الفنانة اللبنانية بالإخراج والتمثيل في الفيلم البرازيلي "ريو.. أحبّك" (2014) الذي ظهرت خلال أحداثه بشخصيتها الحقيقية.

وفي عام 2018 قدّمت لبكي فيلمها الرابع "كفر ناحوم" الذي شاركت فيه بالتمثيل والكتابة أيضا، وتدور أحداثه داخل العاصمة اللبنانية بيروت وفي قلب أكثر المناطق حرمانا، وهو يسرد قصة الصبي "زين" الذي يرفع دعوى قضائية ضد والديه لأنهما أنجباه. وذلك بعد مروره بالعديد من الصعاب في حياته، بدءا من فراره من منزله إثر تزويج شقيقته القاصر، ومرورا بعيشه مع مهاجرة أثيوبية وطفلها الصغير، وانتهاء ببحثه المتواصل عن قوت يومه بأيّ وسيلة.

وحقّق الفيلم نجاحا كبيرا بحصوله على جائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان عام 2018، كما أنه يعد ثاني فيلم لبناني يصل إلى الترشيحات النهائية لجائزة الأوسكار الخاصة بأفضل فيلم أجنبي للسنة الثانية على التوالي، بعد فيلم "قضية رقم 23" لزياد الدويري.

«كوستا برافا» للمخرجة مونيا عقل سيشارك في المسابقة المستحدثة «آفاق إكسترا» في مهرجان فينيسيا

ويعدّ دور "علياء" في فيلم "البوسطة" لمخرجه فيليب عرقتنجي (2006) أولى البطولات المطلقة للبكي في السينما، وهي التي شاركت قبله في أدوار ثانوية في فلمي "رماد" و"الكلاب السبعة"، ليكون آخر ظهور لها كممثلة في عام 2010 عبر فيلم "رصاصة طايشة" لجورج هاشم. كما لعبت في العام ذاته دورا ثانويا في الفيلم المغربي "روك ذا كاسباه"، من إخراج ليلى مراكشي وبطولة هيام عباس ولبنى عزبال.

وتعود مشاركة الأفلام العربية في مهرجان فينيسيا السينمائي إلى أربعينات القرن الماضي، حيث تعدّ مصر من أكثر البلدان العربية المُشاركة في المهرجان الإيطالي العريق، وترجع أول مشاركة لها إلى عام 1936 عبر فيلم "وداد"، من بطولة المطربة الراحلة أم كلثوم وإخراج فريتز كرامب. كما شاركت عام 1955 في فيلم "جعلوني مجرما" لعاطف الطيب، وأيضا في فيلمي "البداية" و"أنا حرة" لصلاح أبوسيف الذي كرّمه المهرجان عام 1959، وغير ذلك من أفلام يوسف شاهين على غرار "حدوته مصرية" عام 1982 و"هي فوضى" عام 2007، وأيضا فيلم "ميكروفون" للمخرج أحمد عبدالله عام 2010.

وفي الألفية الجديدة تمكنت السينما العربية من التتويج في المهرجان عبر الفيلم التونسي "آخر واحد فينا" لعلاء الدين سليم الذي نال جائزة أسد المستقبل كأفضل فيلم أول عام 2016، وأخيرا الفيلم الفلسطيني "200 متر" للمخرج أمين نايفة الذي فاز بجائزة الجمهور في العام الماضي.

عائلة لبنانية تهرب من التلوث فتلاحقها النفايات